الثورة الليبيّة..
بين الأعداء والأقرباء!

دخلت ثورة الفاتح من ايلول في ليبيا عامها الخامس وسط تحديات كبيرة تعصف من حولها وتعصف بالامة العربية كلها. وقد ظلت الثورة الليبية رغم ذلك محافظة على مبررها الاول وهو التوجه القومي بصرف النظر عن خطأ او صواب اسلوبها في هذا التوجه.

وكان شعار «قومية المعركة» الذي تبنته منذ البداية التزاما متعبا عرضها الكثير من المصاعب في علاقاتها مع اقرب الشقيقات. ولكنه في الوقت ذاته كان نقطة اجتذاب تلاقت عندها القوى الوطنية والقومية للانطلاق في بداية جديدة للعمل العربي الجدي الذي يهدف بالدرجة الاولى الى وقف الانزلاق الراهن نحو التسويات الخبيثة.

وقد اساء كثيرون فهم مقاصد الثورة الليبية، ووجهت ضدها، وخاصة في مصر ولبنان حملة تعبئة تحت اعتبارات اقليمية او طائفية لا يستهان بها لانها لم تقتصر على العلاقات السياسية لانظمة الحكم، بل امتدت الى قطاعات من الجماهير كانت الهدف الاساسي للتضليل. ولكن ذلك تكشف عن نواح ايجابية ايضا هي بدورها ليست قليلة الشأن وفي مقدمتها ان الاعتبارات القومية ما زالت هي المحرك الاول والحقيقي للوجدان العربي مهما اختلفت الاجتهادات والاراء حولها، ومهما تكاثرت من حولها الالغام وتعاظمت الحواجز.

وعندما احتفلت ليبيا في مطلع صيف عام ١٩٧٠ بجلاء القواعد الاجنبية عن اراضيها وتحولت قاعدة «ويلاس» الاميركية الى قاعدة عربية باسم القائد العربي عقبة بن نافع، سمعنا كلاما كثيرا يقال هنا وهنالك تشكيكا بالثورة الليبية «لسهولة هذا الجلاء». ثم ما لبثت التطورات والاحداث ان اثبتت ان الجلاء، سهلا كان ام صعبا، هو جلاء اولا واخيرا، وان الارادة الوطنية والقومية هي التي تضع الامور في نصابها الصحيح في نهاية المطاف.

ومن خلال التفات الثورة الليبية الصامت والجدي الى حركات التحرر في كافة انحاء العالم، ظهر بعد انساني جديد للثورة العربية وعلاقتها الجذرية بالثورات الوطنية في العالم، وهو ما كانت تؤكده وتشدد عليه حركة الثورة العربية المعاصرة في دحضها للمزاعم «الشوفينية» و«اليمينية» التي كانت تطلق عليها من اعدائها وخصومها على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم.

وهذا لا يعني على الاطلاق ان الثورة الليبية هي نموذج «الكمال القومي» او هي تمثل الخط النهائي لمسيرة الامة العربية، ولا هي تدعي ذلك، ولكنها تمثل صورة من صور النضال العربي الى الوحدة في وقت يتعرض فيه هذا التوجه للاخطار، والتآمر لاثبات خطأه وتهور الذين يسلكون طريقه.

ولكن، حتى الذين صوروا الثورة الليبية على غير حقيقتها، ومنهم اقرب الاقرباء، واعز الاشقاء، يدركون انها شيء ثمين في واقعنا الراهن.

سليمان الفرزلي